بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الشيخ عبد الله الخياط

خطيب المسجد الحرام، والمستشار بوزارة المعارف السعودية

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على أكرم رسله، وأشرف خلقه، سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد:

فإنّ خير ما صرفت فيه الجهود، واشتغل به العلماء تعليماً وتفسيراً وتفهماً ودراسة واستنباطاً كتاب الله «الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد» فهو كتاب هداية، ودستور أمة هي خير أمة أخرجت للناس، ولقد تكفل الله بحفظه كما قال تعالى: ﴿إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا لهُ لحافظون﴾ ويسّر درسه كما قال تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾؟.

وإنّ من وسائل حفظه، وتيسير درسه، أن يعنى جهابذة العلماء قديماً وحديثاً بتفسيره وإيضاح غامضه، وبيان محكمه ومتشابهه، والكشف عن أسراره، وذكر عجائبه، وحصر آيات الأحكام فيه لمعرفة الحلال والحرام، والوقوف عند الأمر، والنهي، واستنباط حِكَم التشريع.

ولئن كان للعلماء القدامى رحمهم الله اليد الطولى في تفسير القرآن الكريم، وتفسير آيات الأحكام بوجه أخص، فإن للعلماء المتأخرين ممن اشتغل بذلك خطوة موفقة، ذلّلوا بها الكثير من الصعاب لطلبة العلم، ممن صرفتهم صوارف الحياة عن التعمق، والدرس، والإمعان في البحث، وكشفوا لهم عن مفاهيم جديدة ممّا أدى إليه اجتهادهم، ووقف عند عرضه جهدهم، فهم مشكورون مأجورون. ولا نسمّي

في هذه العُجالة أحداً من القدامى أو المتأخرين، فالمجال لا يتسع لذلك، فهو مجال عرض وتقديم لكتاب شارك به مؤلفه القدامى من المفسرين لآيات الأحكام والمتأخرين، إنه كتاب (روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن) لمؤلفه صاحب الفضيلة الشيخ (محمد علي الصابوني) الأستاذ المحاضر بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في البلد الأمين.

وفضيلة الشيخ الصابوني غنيّ عن التعريف لنشاطه البارز في حقل العلم والمعرفة، فهو ينتهز الفرصة، ويسابق الزمن في إخراج كتب علمية هادية، هادفة، نافعة، هي نتيجة الدراسات الطويلة والبحث والاستقصاء كان من بينها كتابه الذي نقدّمه اليوم لطلاب العلم، بل وللعلماء أيضاً ــ وهو في مجلدين ضخمين ــ هما من خير ما ألف في هذا الباب على ما أرى، ذلك لأنهما جمعا بين التأليف القديم من حيث غزارة المادة وخصب الفكرة، وبين التأليف الجديد من حيث العرضُ، والتنسيقُ، وسهولة الأسلوب.

وإنا لنتصور مدى الجهد العظيم فيما رسمه المؤلف لتأليف هذا السفر القيم من قراءة مقدمة الكتاب، إذ يذكر أنه تناول ما كتبه عن آيات الأحكام من عشرة وجوه بسطها في المقدمة، وكلّها روائع وبدائع تزيد المتعلم بصيرة في الفهم، ودراية في البحث والكشف عن حقائق التنزيل.

وعدا ذلك فلقد امتاز المؤلف ــ أثابه الله ــ في هذا التأليف بالصراحة والوضوح في تقرير الواقع الإسلامي في مفهوم آيات الأحكام، والرد على مزاعم بعض من شطّ به القلم من أعداء الإسلام، إذ أباح لنفسه أن يطعن في شخصية الرسول الأعظم ﷺ لتعدد زوجاته، انظر البحث في صفحة (٢٩٧) تحت عنوان (شبهة والرد عليها) وقد علّل المؤلف حكمة تعدد الزوجات تعليلاً منطقياً معقولاً من عدة وجوه من صفحة (٣٠٠) إلى صفحة (٣١٨) كما تناول موضوع الحجاب من صفحة (١٤٢) من الجزء الثاني إلى نهاية صفحة (١٦١) وردّ في ذلك على من يبيح للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها للأجانب، على اعتبار أنَّ الكفَّ والوجه من

المرأة ليسا بعورة، وأعاد القول في الموضوع نفسه في صفحة (٣٥٨) في بحث الحجاب وعرضَ لاختلاط الجنسين واستشهد على فساد مزاعم أنصاره بقول العقلاء من رجالات أوروبا، مضيفاً إلى ذلك المفاهيم الصحيحة عن حظره، وتحدث عن (الصور والتماثيل) في صفحة (٣٨٠) وأورد في ذلك أقوال المفسرين المعتمدة، وذكر الأدلة عن تحريم التصوير، والعلة في التحريم، إلّا ما كان للمناظر الطبيعية التي ليست بذات روح، وأورد الشبه الواردة على تحريم التصوير وفنّدها.. وكل ذلك من مشاكل العصر الحديث التي يجب الكشف عنها، وتقرير وجهة نظر الشرع فيها، تحدّث عنها فضيلة المؤلف في صراحة تامة، ووضوح بعيد عن اللبس، لم يخش في ذلك عتب عاتب، أو لومة لائم، ليقرّر الواقع الإسلامي الصحيح الذي يجب أن يذهب إليه المسلم الذي يعتز بإسلامه، ويضع هواه تبعاً لما جاء به خاتم رسل الله محمد بن عبد الله ﷺ الذي ختم الله الدين برسالته.

وبعد: فلعلنا بهذا العرض قد أعطينا فكرة واضحة عن هذا السفر القيم (روائع البيان) بجزئيه الأول والثاني، سائلين الله تعالى أن ينفع به ويأجر مؤلفه على ما بذل فيه من جهد وتضحيات، وما صرف من وقت ومادة، وأن يُكثر أمثاله من العلماء في مجتمعنا الإسلامي الذين يقولون الحق ويهدون إلى سواء السبيل، سدد الله الخطى.

عبد الله عبد الغني خياط
خطيب المسجد الحرام

شكر وثناء

لا يسعني إلاّ أن أتقدّم بالشكر الجزيل لفضيلة الوالد الكريم ، العلاّمة الشيخ (محمد جميل الصابوني) ، الذي أشرف على تنقيح الكتاب وتصحيحه ، والذي استفدت كثيراً من آرائه وإرشاداته الكريمة ، كما أتقدّم بجزيل الشكر لأخي وصهري الكريم الدكتور السيد (صالح أحمد رضا) الذي ساعدني بتصحيح الكتاب ومراجعة فصوله ، فلهما من الله الكريم جزيل الأجر والمثوبة ، ومني عاطر الشكر والثناء .

محمد علي الصابوني

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، سيدنا محمد ﷺ الذي محا الله به ظلمات الجهل والكفر، وأزال معالم الوثنية والضلال، وأعلى به منار التوحيد والإيمان، وعلى آله وأصحابه شموس العلم والعرفان، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد:

فإنّ خير ما يقدّمه الإنسان من صالح الأعمال، وأفضل ما يسعى إليه المرء خدمة الكتاب العزيز، الذي جعله الله نوراً وضياءً للإنسانية، وختم به الرسالات السماوية، وامتنّ على البشرية بقوله جل وعلا: ﴿يا أيها الناسُ قد جاءكم بُرهانٌ من ربكم وأنزلنا إليكم نُوراً مبيناً﴾.

وقد جعل الله جلّ ثناؤه حملة هذا الكتاب العزيز، هم سُرُج الدين، ومشاعل النور والضياء في الأمة، وعدّهم رسول الله ﷺ السادة الأشراف الذين يقتدى بهم في هذه الحياة فقال عليه السلام: «أشرافُ أمتي حملة القرآن».

كما بيّن صلوات الله وسلامه عليه مكانة هذا الصنف من الناس بقوله:

«إنّ الله ليرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين».

وقد أحببت أن أنتظم في سلك هؤلاء الأكارم، وأن أتشبه بهم ــ وإن لم أكن مثلهم ــ عسى أن ينالني شيء من أجرهم، على حدّ قول القائل:

فتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلَهم ... إنَّ التشبُّه بالكِرام فَلاحُ

obeikandl.com

وكانت لي أمنية كريمة، هي أن يسهّل الله تعالى عليّ خدمة الدين والعلم، فأخرج بعض الكتب التي ينتفع بها الناس، لاعتقادي بأنّ هذا من الباقيات الصالحات، التي تبقى للإنسان ذخراً بعد مماته، كما قال سيدنا رسول الله ﷺ.

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له».

فكان أن سهّل الله تعالى لي جوار البلد الأمين ـ مكة المكرمة ـ صانها الله وحرسها من كل سوء وشر، مدرساً منتدباً للتدريس في (كلية الشريعة والدراسات الإسلامية) وهيّأ المولى ـ جلّ وعلا ـ لي الجو الذي يساعدني على التفرغ للمطالعة، والدراسة، والكتابة، والتأليف، فأكرمني بهذا الجوار الطاهر ـ جوار بيته العتيق ـ في بلد الأمن والإيمان، الذي امتنّ الله على أهله من قديم الأزمان، بالأمن والاستقرار، والاطمئنان، فقال وهو أصدق القائلين:

﴿فليعبدوا ربّ هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف﴾.

وقال جلّ وعلا:

﴿أولم يَرَوْا أنّا جعلْنا حَرَماً آمناً، ويُتخطّفُ النّاسُ مِنْ حولِهِمْ؟ أفبالبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وبنعْمةِ اللّهِ يَكْفُرون؟﴾.

وعشت في هذا الجو الكريم مدة من الزمن، تبلغ عشراً من السنين، أخرجت فيها بعض الكتب التي كان من آخرها هذا الكتاب الذي أسميته:

(روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن)

أخرجته في مجلدين اثنين، وجمعت فيه الآيات الكريمة «آيات الأحكام خاصة» على شكل محاضرات علمية جامعة، تجمع بين القديم في رصانته، والحديث في سهولته، وسلكت في هذه المحاضرات طريقة ربما تكون جديدة ميسّرة، وهي أنني عمدت إلى التنظيم الدقيق، مع التحري العميق، وتناولت الآيات التي كتبت عنها من عشرة وجوه على الشكل الآتي:

أولاً : التحليل اللفظي مع الاستشهاد بأقوال المفسرين وعلماء اللغة.

ثانياً : المعنى الإجمالي للآيات الكريمة بشكل مقتضب.

ثالثاً : سبب النزول إن كان للآيات الكريمة سبب.

رابعاً : وجه الارتباط بين الآيات السابقة واللاحقة.

خامساً: البحث عن وجوه القراءات المتواترة.

سادساً: البحث عن وجوه الإعراب بإيجاز.

سابعاً : لطائف التفسير وتشمل (الأسرار والنكات البلاغية والدقائق العلمية).

ثامناً : الأحكام الشرعية وأدلة الفقهاء، مع الترجيح بين الأدلة.

تاسعاً : ما ترشد إليه الآيات الكريمة بالاختصار.

عاشراً: خاتمة البحث وتشمل (حكمة التشريع) لآيات الأحكام المذكورة.

ولست أزعم أن ما جاء في هذا الكتاب هو من جهدي الشخصي فحسب، بل هو خلاصة لآراء مشاهير المفسرين في القديم والحديث، ونتاجٌ لأدمغةٍ جبّارة من فطاحل العلماء، وجهابذة المفسرين، سهرتْ على خدمة الكتاب العزيز ابتغاء وجه الله، منهم: الفقيه، والمحدّث، واللغوي، والأصوليُ، والمفسّر لكتاب الله، والمستنبط للأحكام، وغيرهم ممن كتبوا في القرآن العظيم..

وما مثلي إلا كمثل إنسان رأى جواهر ولآلىء، ودرراً ثمينة مبعثرة هنا وهناك، فجمعهاونظمهافي عقد واحدٍ.

أو كمثل شخصٍ دخل حديقة غناء، فيها من أحاسن الأثمار، والورود، والأزهار ما يدهش الأبصار، فامتدت يده برفق إليها فجعلها في باقة واحدة، ووضعها في كأس، فكانت بهجة للقلب، وفتنة للعين.

وهكذا كان مثلي في هذا الكتاب، حيث لخصت ما قاله المتقدمون والمتأخرون، وجمعت بين القديم والحديث، وما كنت أسطّر شيئاً حتى أقرأ ما يزيد على خمسة عشر مرجعاً من أمهات المراجع في التفسير، عدا عن مراجع اللغة والحديث، ثمّ أكتب هذه المحاضرات، مع التنبيه إلى المصادر التي نقلت عنها بكل دقةٍ وأمانة.

والله أسال أن ينفع به المسلمين، وأن يبقيه ذخراً لي يوم الدين: ﴿يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون. إلاّ من أتى الله بقلب سليم﴾.

والحمد لله في البدء والختام.. وصلى الله على عبده المجتبى، ونبيه المصطفى، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين.

خادم الكتاب والسنة
الشيخ محمد علي الصابوني
الأستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

obeikandl.com